

المسجد الأقصى منذ الفتح الإسلامي والعهدة العمرية

بقلم: أ.د/ مجاهد توفيق الجندى (*)

مكانة المسجد الأقصى عند المسلمين

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

فقد سجل الله - تعالى - في القرآن الكريم مكانة المسجد الأقصى بهذه الآية الكريمة، وسمى المسجد الأقصى بذلك؛ لبعده ما بينه وبين المسجد الحرام، وباركه الله - تعالى - ببركات عظيمة منها الحسية ومنها المعنوية؛ فأما المعنوية فهي ما اشتملت عليه من جوانب روحية ودينية، حيث كان هذا المسجد مهبط الصالحين والأنبياء والمرسلين، ومسرى خاتم النبيين، وقد دُفن حوله كثير من الأنبياء والصالحين. وأما البركات الحسية فهي ما أنعم الله تعالى به على تلك البقاع من الثمار والزروع والأنهار.

ومما يدل على مكانته الجليلة أنه أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، وهو أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال. روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى». (رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه).

وبيت المقدس هو أرض المحشر والمنشر، وهو بقعة من الجنة، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى بقعة من الجنة فليُنظر إلى بيت المقدس». ومما يؤكد عاطفة المسلمين الجياشة نحو المسجد الأقصى الشريف أنه واحد من أهم معالم الإسلام، وأن الله قد أسرى برسوله ﷺ إليه، وأن الرسول -عليه

(*) أستاذ الحضارة الإسلامية بجامعة الأزهر.

الصلاة والسلام- صلى فيه ركعتين أمّ فيهما الأنبياء والرسل، وقد اختارت الإرادة الإلهية أن يكون الإسراء برسول الله ﷺ إلى المسجد الأقصى؛ تقديرًا لمنزلة هذه البقعة المباركة التي عاشت عمرًا كبيرًا تنتشر على ظهرها الهداية، وتستقبل في رحابها النبوات، وظل بيت المقدس مهبط الوحي الإلهي سنين عديدة.

فلما عصى اليهود أمر ربهم وتنكروا لوحى السماء تحولت النبوة عنهم، وانتقلت إلى ذرية إسماعيل، ونحوت بالتالى القيادة الروحية إلى خاتم الأنبياء والمرسلين، فانتقل الرسول ﷺ إلى هذه البقعة المباركة تقديرًا لإخوانه السابقين من الأنبياء والمرسلين، وإعلانه عن إكباره لهم وللدين الذى انتشر نوره وسناه فى هذه البقاع المباركة^(١).

كل هذه الأشياء وغيرها تضع فى أعناق المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها أمانة المسجد الأقصى المبارك، وأن التفريط فيه تفريط فى دين الله، وسيسأل الله - تعالى - المسلمين عن هذه الأمانة إن فرطوا فى حقها أو تقاعسوا عن نصرتها وإعادتها. فعلينا أن نوحّد جهودنا، وألا نتفرق لنكون بوحدتنا قوة إسلامية لا يُستهان بها، ولا نضعف فى المطالبة بحقوقنا، فطريق الوحدة ومناشدة القوة هو طريق الحفاظ على مقدساتنا التى هى جزء من عقيدتنا وديننا.

الفتح الإسلامى لبيت المقدس

بعد وفاة النبى ﷺ ولحوقه بالرفيق الأعلى، بدأ أبو بكر -رضى الله عنه- بتجهيز الجيوش لنشر حضارة الإسلام واسترداد القدس، وسارت جيوش المسلمين إلى بلاد الشام، ودارت المعارك الضارية بينهم وبين الرومان، وانتصروا فى المعركة الفاصلة "معركة اليرموك".

(١) أ.د. أحمد عمر هاشم "القدس مدينة السلام"، ص ١ وما بعدها بتصرف، بحث منشور ضمن منشورات بحوث ندوة القدس فى العقيدة الإسلامية والتاريخ العربى، ١٣ صفر ١٤١٧هـ ٦/٢٩/١٩٩٦م، نظمها جامعة الأزهر والمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة.

وتوفى أبو بكر الصديق، فتولى عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- الخلافة، فعين أبا عبيدة قائداً على جيوش المسلمين في بلاد الشام، ففتح دمشق، ثم بلاد الشام: حمص وحماة، والمرة، واللاذقية، وجبله، وسبسطية، ونابلس، واللد، ويافا، وغيرها، وفي سنة ١٥ هجرية أتى الأردن، فعسكر بها، وبعث الرسل إلى أهل إيليا وكتب إليهم: "بسم الله الرحمن الرحيم، من أبى عبيدة بن الجراح إلى بطارقة أهل إيليا وسكانها، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وبالرسول، أما بعد.. فإننا ندعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور، فإن شهدتم بذلك حرمت علينا دماءكم وأموالكم وذرائعكم، وكنتم لنا إخواناً، وإن أبيتم فأقروا لنا بأداء الجزية عن يد وأنتم صاغرون، وإن أبيتم سرت إليكم بقوم هم أشد حبا للموت منكم لشرب الخمر وأكل لحم الخنزير، ثم لا أرجع عنكم إن شاء الله -تعالى- حتى أقتل مقاتليكم وأسبى ذرائعكم".

وكتب إلى عمر بن الخطاب بخبره بما فتح الله عليهم، ويقول له فى آخر الكتاب: "وقد بعثت إلى أهل إيليا أدعوهم إلى الإسلام فإن قبلوا، وإلا فليؤدوا الجزية إلينا عن يد وهم صاغرون، فإن أبوا سرت إليهم حتى أنزل بهم ثم أزيلهم حتى يفتح الله -تعالى- على المسلمين إن شاء الله تعالى".

فكتب إليه عمر بالموافقة وبالاتعانة بالله - تعالى -، وأبى أهل إيليا الصلح، فحاصر أبو عبيدة القدس حصاراً شديداً حتى قبلوا الصلح، لكنهم اشترطوا مجيء الخليفة عمر بن الخطاب ليكتب لهم الأمان، فكتب إليه أبو عبيدة، واستشار عمر أصحابه لأهمية القدس، فأشاروا عليه بالمسير حتى لا تضيق فرصة فتحها، وجاء عمر إلى القدس، ونزل على الجبل الشرقى وهو "طور زيت" وأتى رسول من من قبلهم مرحباً به وقال له: "إننا سنعطى بحضورك ما لم نكن نعطه لأحد سواك"، وسأله أن يقبل منهم الصلح والجزية، وأن يعطيه الأمان على دمايتهم وأموالهم وكنائسهم وصالح أهل إيليا، وكتب لهم الأمان العمرى وهو من جانب واحد وسمى "العهد العمرية"^(١). وهاكم.

(١) أ.د. / عبد العزيز الحياط، "مكانة القدس فى العقيدة الإسلامية"، ص ١٦ بتصرف.

نص العهدة العمرية

(كما أورده محمد بن جرير الطبري في تاريخه):

"بسم الله الرحمن الرحيم.. هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صلبيهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيليا معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيليا أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منهم الروم، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض فمن شهد منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيليا من الجزية، ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله، وأنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله، وذمة رسوله، وذمة الخلفاء، وذمة المؤمنين إذا أعطوا ما عليهم".

كتب وحضر سنة ١٥هـ: عمر بن الخطاب خالد بن الوليد عمرو بن العاص

شهد على ذلك: عبد الرحمن بن عوف معاوية بن أبي سفيان

وحين تسلم عمر بيت المقدس من البطريك صفرونيوس اشترط البطريك في معاهدة عمر منع اليهود من الإقامة في المدينة المقدسة، ولكن ما كاد المسلمون يتسلمون مقاليد الأمور في البلاد حتى قضوا على استبداد المسيحيين باليهود، وما لبث اليهود أن استعادوا نشاطهم العلمي وظهرت في طبرية نهضة علمية مباركة.

وجاء الأمويون فأولوا القدس اهتمامهم، فبنوا فيها أعظم مسجدين أثريين إلى يومنا هذا وهما مسجد الصخرة، والمسجد الأقصى، وعقبهم العباسيون والفاطيون والأيوبيون والمماليك والعثمانيون، وكل منهم كان يحمى هذه المدينة ويعمر الكثير من أجزائها وأماكنها المقدسة.

وبقترن اسم القدس باسم صلاح الدين الأيوبي الذي حارب الصليبيين وانتصر عليهم في معركة حطين الحاسمة سنة ١١٧٨ م، ثم توجه إلى القدس، واسترجعها من أيديهم، وأعاد إليها صبغتها الإسلامية، كما أعاد للمسلمين مساجدهم ومقدساتهم، ورد إليهم اعتبارهم، ودخلت القدس تحت الحكم العثماني سنة ١٥١٧ م، وبقيت كذلك إلى أن احتلها الحلفاء سنة ١٩١٧ م، وبقيت القدس عاصمة لفلسطين حتى عام ١٩٤٨ حيث نشب النزاع بين سكانها والدخلاء اليهود الذين تسربوا إليها مستهدفين إقامتهم دولتهم.. وحدثت الكارثة..

كارثة فلسطين

إن قلم المؤرخ ليرتحف وهو يحاول أن يخط أسطرًا من هذه المسألة وأنبائها، بل الكارثة، بل الفاجعة، فقلما يعرف المؤرخ في سجل المآسي الإنسانية التي تعيشها ذاكرته، وما اقترنت به من آلام وأحزان، وفيما دوّن من أعمال القهر والظلم والعدوان، والأحقاد العنصرية والمؤامرات الدولية ما يضارع هذه الكارثة في هولها أو فداحة نتائجها، ولكن التاريخ لا ينبغي له أن يتأثر بما يدون من أحداث، وأولى له أن يلتزم مهمته الأساسية، وهي أن يسجل الحقائق مجردة كما هي، ويقدم عنها صورة صحيحة كما حدثت في دائرة الواقع.

كان اليهود في القرن الماضي في فلسطين لا يزيد عددهم عن عدد أفراد أمة جالية أجنبية تعيش في أي قطر من أقطار الشرق، ويقيد عددهم إذ ذاك بنحو ثمانية آلاف، وبينما كان اليهود مشردين مضطهدين في كل مكان من أنحاء أوروبا، ولا سيما في روسيا القيصرية وبولنده والنمسا، وما كانت أوروبا شعوبًا وحكومات تعاملهم أبدًا طوال العصور إلا بمتهى القسوة وتسومهم ألوان العذاب والذلة، كانوا يعيشون في فلسطين وفي غيرها من أقطار العالم الإسلامي آمنين مطمئنين يتمتعون بكافة الحقوق المدنية والدينية، كما لا يزالون يعيشون في هذه الأقطار إلى اليوم، ولكن ما كان يجول بخاطر أحد، وما كان يحسب أحد أنه يكون في حدود التصور المعقول، وأن هذه الأقلية

الدينية الغريبة عن الديار والتي تركت تعيش في فلسطين في كنف المسلمين وبفضل تسامحهم وكرمهم، واتخذت من وطنهم ملجأ تلوذه من اضطهاد الأوروبيين وعسفهم ومطاردتهم، إن هذه الفئة ستصبح في يوم من الأيام مصدر خطر على أهل البلاد أنفسهم، ويزداد شأنها حتى يكون لها كيان سياسى، ثم تستطيع أن تتحدى السكان الأصليين بل تمشق في وجوههم الحسام، وتعلن نفسها دولة في قلب البلاد بعد أن تكون قد أخرجت أهلها إلى حيث يعيشون في الفقر والعراء، عيشة البدائيين في أسوأ الحالات، يموتون بالآلاف، ويهدد من بقى منهم بالفناء؛ ولكن هكذا شاء الاستعمار وشاءت إرادة الدولة المتعصبة الكارهة للإسلام، التى تحاربه أبد الدهر، لا تريد به ولا بأهله إلا شرًا، وإن كان هؤلاء غير شاعرين تمامًا بما يراد بهم وغير مدركين مدى الخطر المحقق بهم، فما شأن هذا الخطب، وما أصل ذاك البلاء؟ وكيف وقعت تلك الكارثة التى تعد أكبر كارثة فى تاريخ الشرق الأوسط فى العصر الحديث.

إن أبعد آمال اليهود التى كانوا يطمعون فى تحقيقها حتى العقد الأخير من القرن التاسع عشر، كانت هى أن يجدوا ملجأ آمنًا يأوون إليه من اضطهاد المسيحية لهم، ويستطيعون أن يضموا فيه شتات أبنائهم وطائفتهم المبعثرين فى كل صقع على وجه الأرض، ويتلقون من يفسد إليهم كلما ضاقت بأوروبا موجة من الاضطهاد، وذلك كله تحت رعاية وفى كنف أى دولة تكون مستعدة لأن تؤويهم وتعترف لهم بهذه الحقوق المحلية، وتبسط سلطان حمايتها عليهم، وإن كانت أنظارهم تتطلع إلى فلسطين فى المقام الأول، باعتبار أنهم يريدون أن يرجعوا إلى التاريخ إلى ما قبل نحو ثلاثة آلاف عام، أى قبل أن يستولى عليهم ويسبيهم وينفيهم الآشوريون والبابليون ويدمرهم ويقضى عليهم نهائيًا ويشردهم كل مشرد فى الأرض الرومان، ولكن فكرتهم لم تصر محدودة، ولم يبدأ الدور الإيجابى لحركتهم وتبلور عقيدة "الصهيونية" وهى المطالبة بالرجوع إلى "صهيون" اسم القدس فى العهد القديم، أرض الميعاد، لتأسيس وطن قومى، إلا حين قام "نيوردور هرتزل"، الذى يعتبر المؤسس الحقيقى للصهيونية بدعو إلى

هذه الفكرة بحماس، ويضع نظاماً عملياً لتحقيقها، وألف كتابه "الدولة اليهودية" فى عام ١٨٩٥م حدد فيه أهداف الفكرة، واستحث أبناء طائفته أن يسعوا لتنفيذها، وحاول أن يؤيدها بما أمكن أن يعثر عليه من حجج وأدلة.

حينئذ بدأ النشاط، وتوالى عقد المؤتمرات فيما بين عامى ١٨٩٧ و ١٩١٧م، عقدت عشرة مؤتمرات كان المؤتمر الأول منها فى "بازل" بسويسرا، وكان من بين القرارات التى اتخذت: تشجيع حركة الاستعمار فى فلسطين فى ميادين الزراعة والصناعة والتجارة، وتنظيم عناصر اليهود، وتوثيق الروابط بينهم بإنشاء المؤسسات المحلية والدولية، وإحياء الشعور القومى، وتعليم اللغة العبرية، وإنشاء المدارس، وإيجاد صندوق توفير يهودى، وجمع الأموال والمنح لتنفيذ المشاريع، وقد حدد الغرض من الحركة الصهيونية حينذاك بأنه السعى لإيجاد وطن قومى لليهود فى فلسطين، على أن يكون مضموناً من الدول ويعترف به اعترافاً دولياً.

وظل "هرتزل" يجاهد فى سبيل دعوته، وكان كثير من اليهود لا يؤمنون بها، بل يتوجسون منها خيفة؛ لاعتقادهم أنها تضر بمصالح الطوائف المتوطنة فى بلاد الشرق، وطفق يعمل لتأسيس الجمعيات وجمع التبرعات وفتح المصارف لتمويل الحركة، حتى كان من بين جهوده أن توجه إلى السلطان عبد الحميد وسعى لديه أن يمنح اليهود أراضٍ فى فلسطين، ويفتح أبوابها لوفود المهاجرين، مقابل منافع مادية وسياسية عرضها عليه، ولكن الصفقة لم تتم إما لأن السلطان -وقد كان على استبداده ذكياً- أدرك خطورة الحركة، وهذه إذن تعد من الحسنات التى ينبغى أن يسجلها التاريخ، وإما لأن الثمن الذى اشترطه كان باهظاً فلم يستطع اليهود الوفاء به.

وفى تلك الأثناء أظهرت النجلترا عطفها على المشروع، فعرض اللورد "كرومر" على اليهود أن يستعمروا شبه جزيرة سيناء، وذهبت بالفعل بعثة ١٩٠٣م لترتاد الأرض، ولكن صعوبات مادية من بينها قلة المياه قامت دون تحقيق الفكرة، فعرض عليهم ثانية وزير المستعمرات الانجليزى "جوزيف تشمبرلن" فى نفس العام أن يقطعهم مساحات

واسعة في شرق إفريقيا، فرحب كثير من اليهود بهذا العرض، وعدوه على كل حال دليلاً على صداقة إنجلترا وعطفها على قضيتهم، وقد استمرت هذه الصداقة إلى ما بعد ذلك، ولكنهم انقسموا حياله، فحين وضع الاقتراح أمام المؤتمر الصهيوني الذي انعقد في عام ١٩٠٥م قررت الأغلبية رفضه؛ لأن شرق إفريقيا ليس صهيون، وكان "هرتزل" قد مات في ١٩٠٤م خائب الأمل متجاوز الرابعة والأربعين من عمره وهو يشعر أنه على وفرة نشاطه وكثرة الجمعيات التي ألفها لم تكن آماله تبدو قريبة التحقيق، ثم مرت الحركة في دور جمود بعده، وكثر الشاكون فيها حتى من بين صفوف اليهود، وباتت تظهر في أعين الساسة أنها حماقة أو خيال أو وهم، كما صرح بذلك المستر "أسكوث" نفسه الذي كان رئيس وزراء إنجلترا قبيل الحرب وفي أوائلها.

فهكذا يتبين أنه حتى نشوب الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م كانت الصهيونية تبدو وكأنها ليست أكثر من مشروع نظري أو فكرة خيالية، ولم تكن تعدو أن تكون أملاً يداعب خيال بعض المتعصبين ولم تكن الوسائل لإنشاء الوطن القومي -فضلاً عن الدولة- موجودة، وما كان يمكن أن توجد ولكن المتعصبين المتحمسين لم يفقدوا الأمل، فبعد أن كاد اليأس يدب في قلوبهم إذا به يحيا من جديد لظهور رجال جمعية "الاتحاد والترقي" الذين أخذوا يعملون بهمة ونشاط لتقويض الوحدة الإسلامية متبعين سياسة "التريك" أو التعصب القومي، ويهدمون بناء دولتهم بأيديهم، وكان اليهود يحسون بقرب تفكك الدولة وهم يعلمون نيات الدول الاستعمارية نحو أملاكها، وحانت لهم الفرصة النادرة التي لا يسمح بمثلها الدهر حين اندفع رجال الاتحاد في جهالة وغرور وتهور، فاشتركوا في الحرب الأوروبية سنة ١٩١٤م، وأعلنوا انضمامهم إلى جانب ألمانيا، إذ أنهم بذلك العمل الطائش قد زجوا بالعالم الإسلامي كله في أتون الحرب، ويسرّوا السبل أمام مطامع الاستعمار، وأعادوا فتح باب "المسألة الشرقية" على مصراعيه، فحل إذن دور التصفية، وكانت هذه الطامة الكبرى التي لم تود فقط برجال الاتحاد والترقي، بل كان على أمم الشرق العربي أن تدفع هي الثمن، ثمن جهالاتهم

وأخطائهم وحمائهم، أسرعت إنجلترا وفرنسا والصهيونية ف عقدوا فيما بينهم حلفاً على تقسيم الولايات التابعة للدولة والتهامها، وكانت حركة الأمل الجديدة قد أظهرت زعيماً آخر هو الدكتور "حاييم وايزمان" ولم يكن مشهوراً من قبل، بل كان أستاذاً في جامعة "مانشستر"، وعاون الحلفاء في صناعة الكيمياء والمفترقات، فنهض يعمل لتحقيق الفكرة الصهيونية، وأخذت بيوت الأموال تساوم وتعرض إغراءاتها، وصار "وايزمان" ومن ورائه رجال الأعمال من أمثال "روتشيلد" يؤيدونه، يقابل كبار الساسة والزعماء، حتى ظفر بأن حصل على التأييد الكامل من إنجلترا للمشروع الصهيونية، وكانت إنجلترا في نفس الوقت تساوم "شريف مكة" وغيره من زعماء العرب، ونجحت في حمله على أن يدخل في الحرب ويساعدها بكل قواته دون أن يأخذ منها موثقاً صريحاً، ومكتفياً بالخطابات السرية، وغير شاعر أيضاً بخطورة أغراض الاستعمار أو اليهود، ولم تكن إنجلترا تنوى غير الغدر بالعرب، ولم يكن لها من قصد إلا الاستغلال لقواهم وجهودهم حتى تيسر لها النصر، أما "وايزمان" فقد ظفر بتصريح خطير أعلنه وزير خارجية إنجلترا بنفسه على العالم ١٩١٧م، وفيه لم يدع الانجليز شكاً في أنهم قد احتضنوا القضية الصهيونية، وأنهم عاملون وسيعملون على تأييدها، ورعاية الوطن القومي اليهودي منذ نشأته حتى يبلغ مرحلة نضجه، وحينئذ دخلت الصهيونية في دورها الجديد، دورها الخطير الإيجابي الذي كانت له أكبر الآثار في تاريخ الشرق.

فلسطين في قلوب المصريين

من المؤكد أن الكلام في هذا الموضوع معروف وثابت وأهم منه أننا في مصر ننسى أو نحاول أن ننسى حقيقة ثابتة وواضحة هي أن مصر وفلسطين عاشتا أكثر من ثمانية قرون، ولكننا نذكر العهد الإسلامي وحده لا لأنه أقرب العهود إلينا، ولكن لتمكنه من نفسيتنا ولارتباطه بماضى حي متغلغل في شخصيتنا وتفكيرنا.

ولذلك نقول أن فلسطين عاشت مع مصر طوال الأيام الطولونية والإخشيدية والفاطمية، وفي عهود الدولة الأيوبية والتركبة ودولة المماليك الجراكسة، وتعطينا

الحروب الصليبية صفحة خالدة في تاريخ مصر أقوى وأبرز من كل صفحاتها في عصورها المختلفة بلا استثناء، ولذلك يحق لنا معاشر المصريين أن نقول ولا نتهم بالمبالغة والإفراط في القول: إن دماء شهدائنا اختلطت بدماء شهداء فلسطين طوال قرنين من الزمن، وإننا أروينا الأراضى والبطاح والجبال بدماء أهلينا وشهدائنا، وهذه الأرض مباركة تعرضت وتعرض مرة أخرى للأخطار ونُمتحن معها بأكبر المحن، وتأتى قضيتها لتعرض علينا كفاحاً شديداً وثباتاً عظيماً أمام قوات هائلة من قوى الطبيعة والإنسان، وهى قوات يتحتم علينا الوقوف إزائها؛ لنبرهن للعالم على حيويتنا وشخصيتنا ومدى استعدادنا للتصادم، وقدرتنا على المجادلة.

هدف الصهيونية لا يقف عند فلسطين

إن هذا الركن من العالم الذى نطلق عليه اسم "فلسطين" ويأبى اليهود إلا أن يسموه أرض إسرائيل غريب فى تاريخه، فهو منذ أن عرفته الدنيا لفت الأنظار إليه، ويزيد فى غرابته أنه يتوسط العالم، وتظهر أهميته للعرب؛ لأنه يقسم بلادهم شطرين: الشطر الآسيوى والشطر الإفريقى، فهو يتحكم فى مصير الأمة العربية، وبوسعه أن يحول دون تحقيق أهداف الجامعة العربية، بل ويوقف تنفيذها، ثم هو يشارك الأقطار العربية الأخرى فى ميزاتها الجغرافية وسيطرتها على الطرق العالمية، وفى هذا الخطر كل الخطر علينا.

وما من شك فى أن القوات التى كانت تهيم على الأرض تمثل فى مجموعها أقوى ما فى المادة وأسمى ما فى الروح، وهى حينما تجمعت ووجهتها فلسطين، لم تقصد هذه البقعة بالذات وإنما قصدت هذا الركن من العالم بأكمله، أى هذا الشرق العربى الذى تعرف عن جد أنه مركز الدنيا، وما كان لها أن تطمع فى الاستيلاء عليه لولا ما لمستته من سهولة وتسامح وتراخ، أطمعها مع الزمن فينا.

ولا نقصد من هذا إضعاف الروح لدينا، فنحن نسلم أن الإيمان الروحى الذى

تملك الفريقين: تملكنا نحن العرب، وتملك اليهود، قسوى وهائل، وأن هذا الإيمان بحق كل منا فى تملك هذه الأرض يكاد يفوق حد التصور العقلى، ويبرز فى حياة كل منا فى كل يوم؛ ولكن هذا الوعى لدينا لم يأت إلا بعد سنوات فرطنا ونمنا فيها نومًا عميقًا.

وعليه ف قضية الشعب الفلسطينى هى قضية موت أو حياة للعروبة وشعوبها وأهدافها وآمالها، فهى إذاً بحق مشكلة جيل بأكمله، وإن لم يحل اليوم فستكون مشكلة الأجيال القادمة التى سوف تؤاخذنا على تراخيها وإهمالنا.

الجانب العربى

ونحن نعتقد أن قوة المادية التى تدفع بنا إلى الكفاح لا حد لها، وكذلك القوة المادية التى تدفع الصهيونية لا حد لها.

ففى الجانب العربى نجد أن قوة الدفاع أمام الخصم لا تستند إلى طاقة العرب من أهل فلسطين وحدهم، بل ورائهم دنيا العروبة بأكملها، ثم العالم الإسلامى، وهى قوات غامضة هادئة لم تستكمل بعد يقظتها، ولم تظهر فى عنفوان فعاليتها وأثرها، ولم تنظم بعد التنظيم المطلوب، وكان وراء هذه القوى حلفاء من أوروبا وأمريكا كانوا يناصرون العرب ويشجعونهم، ويمدوا يد المساعدة إليهم.

الجانب اليهودى

وإذا نظرنا إلى الجانب الصهيونى وجدنا أن قوتهم لا تستند إلى طاقة اليهود من أهل فلسطين وحدهم، بل ورائهم يهود الأرض بعزمهم ومواردهم، وهناك اليهودية العالمية تناصر الصهيونية ومعها عناصر ومنظمات لا حصر لها.

فالنزاع قائم والتصادم لا شك واقع، ولا يمكن دفعه. إذاً قد عرفنا ما قدر لنا، وكتب الجهاد علينا كما كتب على الذين من قبلنا، وها نحن أولاء ندخل تجربة قاسية ونفتحم معركة هائلة لا نعرف مبتدأها ولا منتهأها، وقد يكون من الخير لنا أنها جاءت، وقد يكون فى دروسها ومواقفها ما ينفعنا وينفع الآتين من بعدنا.

جهود الأزهر وجامعته في حل القضية الفلسطينية

وتدور هذه الجهود حول محاور ثلاثة:

أولاً: جهود فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق على جاد الحق - رحمه الله - وهي: معروفة وملموسة للجميع، فما من مناسبة من المناسبات إلا وفضيلة الإمام الأكبر وهو على رأس الأزهر، إلا ويشارك فيها برأيه، ويستنكر ويشجب الاعتداءات الإسرائيلية على المقدسات الإسلامية في القدس الشريف، أو الاعتداء على الشعب الفلسطيني الأعزل.

ثانياً: إعطاء فضيلة الإمام الأكبر المنح السخية لطلاب فلسطين للدراسة بمعهد البحوث الإسلامية، وكذلك منح للدراسة بكليات جامعة الأزهر، ولدينا عدد كبير من طلاب فلسطين درسوا بجامعة الأزهر وأسماءهم كائنة في سجلات المنح، وهو خير دليل وشاهد على مساهمة الأزهر الشريف ومشاركة للفلسطينيين في محنتهم. (*)

ثالثاً: تزخر مجلة الأزهر في جل أعدادها بالعديد من البحوث والمقالات الموثقة عن

(*) بعض طلاب فلسطين الذين درسوا في الأزهر وجامعته

أولاً: طلاب درسوا بمعهد البحوث الإسلامية سنة ١٩٦٨-١٩٦٩م:

- | | |
|--------------------------------|-------------------------------------|
| ١- علي حسين محمد رويضة | ١١- كايد سليمان محمود |
| ٢- محمد كامل شبانة | ١٢- طه شعبان محمود على طلحة |
| ٣- حمدي عبد الله عيسى القافى | ١٣- ياسين سليم عبد الهادى |
| ٤- مصطفى محمد عبد الهادى خاطر | ١٤- السيد صالح محمد على عزام |
| ٥- أحمد محمد عبد الهادى | ١٥- عارف محمد يوسف |
| ٦- عيد فارس إبراهيم خاطر | ١٦- عبد الحميد عبد الله عيسى القافى |
| ٧- صفوت عبد الله المهتدى | ١٧- إبراهيم محمود حمدان |
| ٨- إسماعيل محمد عبد الرحمن سعد | ١٨- عطا خليل حسن الشرقاوى |
| ٩- محمد أحمد السيد نصار | ١٩- عباس السيد محمد السيد مصطفى |
| ١٠- أنور محمد السيد نصار | ٢٠- إبراهيم أحمد هاشم السعدون |

مأساة شعب فلسطين، وآخر هذه البحوث "القضية الفلسطينية حاضرها ومستقبلها"، للأستاذ الدكتور "محيى الدين الصافى"، رئيس قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين نشر بالعدد الخاص بتاريخ جمادى الآخرة ١٤١٣ هـ ديسمبر ١٩٩٢ م.

وإباً: كما أن هناك العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه نوقشت فى قسم التاريخ بجامعة الأزهر، ومنها على سبيل المثال لا الحصر "سياسة الاستعمار والصهيونية

= ثانياً: طلاب درسوا بجامعة الأزهر:

(١) كلية اللغة العربية:

- ١- صفوت عبد الله الهندى
- ٢- عز حسين عليوة
- ٣- أنور محمد السيد
- ٤- إبراهيم أحمد إسماعيل صديق
- ٥- فتحى عبد القادر إسماعيل كلوب
- ٦- محمود إسماعيل عمار
- ٧- محمد مصطفى العقاد
- ٨- صبحى حسين الحاج أسعد
- ٩- عيسى أحمد أبو الشباب
- ١٠- محمد مصطفى العقاد
- ١١- بسيم عوض عسكر
- ١٢- حسن رضوان محمد الكحلوت
- ١٣- سعيد محمد على عبد الرحيم
- ١٤- أحمد إبراهيم محمود الخالدى
- ١- على محمد عبدربه الفصين
- ١٦- عبد الفتاح عطا الله حسين
- ١٧- زكى محمد عثمان عبد الحميد
- ١٨- محمود عبد الجبار محمد القططى
- ١٩- فتحى صالح حسن كريم
- ٢٠- عبد المجيد موسى عيسى نشيت
- ٢١- فايز منصور جميعان مرجان
- ٢٢- حسن صابر أبو عيشة
- ٢٣- رمضان العبد أحمد محمد طالب
- ٢٤- محمود أحمد سلامة أبو سنار
- ٢٥- محمد محمود فهيد بحر
- ٢٦- أحمد يوسف أحمد حمودة
- ٢٧- يوسف سالم عرفات
- ٢٨- محمد سليم أبو شرح
- ٢٩- رزق إبراهيم أحمد المصرى
- ٣٠- محمد إبراهيم حسين الحداد
- ٣١- محمد شعبان محمود على صالحة
- ٣٢- خالد محمود حمدان
- ٣٣- حسنى جبر ناصر الأطرش
- ٣٤- نعيم خليل هاشم الختو
- ٣٥- محمد لطفى يوسف صيام
- ٣٦- إدريس العبد محمد على الكحلوت
- ٣٧- عبد الكريم درويش عبد القادر
- ٣٨- محمود عبد القادر إبراهيم مغازى
- ٣٩- خالد أحمد إبراهيم أبو جندى
- ٤٠- جمال نبهان حمد أبو معلى
- ٤١- على سليمان ريحان
- ٤٢- جبر عبد الرحمن خليل
- ٤٣- عوض عبد الحميد شحتوت
- ٤٤- خليل كامل سعيد الداريملى

تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين" للمرحوم الدكتور حسن صبرى الخولى، وتقع في مجلدين كبيرين من القطع الكبير، موثقة بالوثائق الرسمية، حصل بها على الدكتوراه. ورسالة المرحوم الأستاذ صالح مسعود بوبصير، وزير خارجية ليبيا سابقاً، وهى بعنوان: "جهاد شعب فلسطين من ١٩١٧-١٩٤٨م" حصل بها على الماجستير عام ١٩٦٧ فى التاريخ الحديث كلاهما من قسم التاريخ والحضارة فى كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر بالقاهرة.

= (ب) كلية الشريعة والقانون:

- ١- حسين فضل حسين الخالدي
- ٣- أحمد محمد الزعوط
- ٥- سليمان أحمد داود الشاعر
- ٧- عبد الوهاب عوض عبد الوهاب
- ٩- محمود إبراهيم محمود السلولى
- ١١- مطلق يوسف مهنا
- ١٣- محمد ربيع عبدربه أبو كمكة
- ١٥- صديق عبد الرحيم عبد الرؤوف
- ١٧- فهمى محمد إبراهيم طلبة
- ١٩- أحمد فارس عبادة الأشرف

(ج) كلية الطب:

- ١- يوسف عودة سالم حرز
- ٣- محمود عبد الملك عبدربه نصر الله
- ٥- محمود سالم على خطاب

(ج) كلية أصول الدين:

- ١- محمد أحمد الفسار
- ٣- غازى محمد يوسف صيام

(د) كلية التجارة:

- ١- زهير عبد الله فوزى

(هـ) كلية الهندسة:

- ١- أحمد عبد الرحمن على خطاب

(و) كلية الزراعة:

- ١- سليمان مصطفى سليمان (أ.هـ.)

- ٢- سليم سليمان أبو سمرة
- ٤- يوسف محمد سليمان الشنطى
- ٦- فايز إبراهيم حسن مبرى
- ٨- سليم فايز يونس
- ١٠- عوض عواد إبراهيم الهطل (دراسات عليا)
- ١٢- عبد المنعم حسن عباس
- ١٤- سعيد محمد أحمد خليل
- ١٦- كرم محمود أحمد عرام
- ١٨- على محمد محمد الشريف
- ٢٠- عبد الرحيم سليمان أحمد العقاد

- ٢- محمود سليمان عثمان سعد
- ٤- عبد الجبار يحيى عبد الواحد الطيبي

- ٢- سعيد ديب عبد الهادى رضوان

وأخيراً لا بد لكل مسلم أن يكون على يقين من نصر الله للمسلمين وخذلانه لليهود أعداء الله وقتلة الأنبياء، وأعداء الإنسانية جمعاء، وينبغى على اللجنة العالمية للدعوة توعية المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها بهذه الحقائق الدينية؛ ليعملوا على هزيمة هذا الكيان المصطنع الذى أقض مضاجع جميع الدول الإسلامية وغير الإسلامية. وفى اعتقادى أن النصر لن يكون إلا عن طريق اتحاد العرب والمسلمين على محاربة هذا الوباء، وثانياً أن تشعر أمريكا وأوروبا أن دعمها لليهود سيكون وبالاً عليهم من النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية.

والله من وراء القصد، وهو نعم المولى ونعم النصير.

أهم المراجع

* القرآن الكريم.

* فتح الباري بشرط صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى، ط بيروت ١٩٨٧ م.

* كلمة الدكتور مجاهد توفيق الجندى "القدس الإسلامية عاصمة فلسطين" ألقاها بجامعة الدول العربية يوم الخميس ١٠ ديسمبر سنة ١٩٩٢ م، فى مناسبة اليوم العالمى للتضامن مع الشعب الفلسطينى ممثلاً لفضيلة الإمام الأكبر المرحوم الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف، والمراجع التى رجع إليها.

* مجلة الأزهر، عدد فبراير ١٩٩٣ م شعبان ١٤١٣ هـ.

* الدكتور عبد العزيز الحياط "مكانة القدس فى العقيدة الإسلامية"، بحث نشر ضمن بحوث ندوة القدس فى العقيدة الإسلامية والتاريخ العربى، فى ١٣ صفر ١٤١٧ هـ - ٢٩ / ٦ / ١٩٩٦ م، والتى نظمتها جامعة الأزهر مع المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة.

* الدكتور أحمد عمر هاشم "القدس مدينة السلام"، بحث منشور ضمن بحوث الندوة سألقة الذكر.

* وثائق وسجلات رواق الشوام بالأزهر ومدينة البعوث الإسلامية بالأزهر الشريف.

* * *